

تاريخ الاستلام: 2017/10/22 - تاريخ التحكيم: 2018/01/17 - تاريخ النشر: 2018/06/30

مظاهرات العاشر من أفريل 1962 بالحجيرة ولاية ورقلة: أحداث ومآلات

د. قويدر قيطون

(جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي - الجزائر)



ملخص:

يسلط هذا المقال الضوء على أحداث مهمة وقعت في إقليم بلدية الحجيرة ولاية ورقلة ، يوم الثلاثاء 10 أفريل 1962 ، راح ضحيتها ستة شهداء وعشرات الجرحى .

وقد جاءت هذه المظاهرات في إطار الاحتجاجات العارمة التي عمت الصحراء الجزائرية رفضا لمشروع فرنسا الاستيطاني الهادف لفصل الصحراء الجزائرية عن شملها ، وإن كانت وقائع هذه المظاهرة قد تأخرت عن مسار المظاهرات في إقليم الواحات إلا أن صداها كان كبيرا بما خلفته من آثار .

الكلمات المفتاحية : مظاهرات - بايلو - الصحراء - شهداء - مفاوضات - الحجيرة - البندقية

Summary

This article highlights the important events that have occurred in the municipality of El-Hadjira city of Ouargla Province, on Tuesday, 10 April 1962, claimed the lives of six martyrs and dozens wounded .

The demonstrations came under overwhelming protests that swept the Algerian Sahara project France settlement aimed to separate the north from the Algerian Sahara refused, though the facts of this demonstration had been delayed for the path of demonstrations in the oasis region, but that its impact was significant, including the legacy of the effects

تقديم :

الحجيرة هي إحدى بلديات ولاية ورقلة الجزائرية . وتقع على بعد 100 كم شمال عاصمة الولاية ، وهي تاريخيا تقع وسط محطة الاتصال التجاري بين وادي سوف ووادي ميزاب وذلك مرورا (بوادي ريغ) ؛ فهي تقع جنوب جبال أولاد نائل و الزيبان وشمال ملتقى الحمادة الصخرية بالعرق الشرقي والشط الشرقي أيضا.

ولقد كثرت الروايات في أصل تسمية "الحجيرة" غير أنها تتقارب في إسناد الاسم إلى تفسير معين ، وأنه لم يأت من فراغ فأغلب التأويلات تشير إلى أن شكل المدينة القديمة هو الذي أعطاها تلك التسمية إذ كان يحيط بها سور يشبه

في شكله للناظر الحجرة ، ثم تمّ تصغير اللفظ كما هي عادة الناس في الكثير من الألفاظ فتحول إلى (الحجرة) ، ومنهم من يرجع أصل التسمية الاشتقاق من الحجرة أي الصخرة لأن المدينة القديمة تقع على ربوة عالية كانت الأشجار ملتفة حولها وتبادر إلى الذهن من أطلق عليها الاسم في أنها حجرة صغيرة أي حجرة.

ومن خلال هذا يظهر لنا أهمية موقع الحجرة الاستراتيجي المتمثل في حراسة المدن وتأمين الطرقات الواصلة بين الأودية الثلاثة ، فهي ممر دائم للتجار والبضائع على جملهم .

أما سكانها فهم من قبيلة سعيد أولاد عمر والتي تنتشر أيضا في تقرت وتماسين و ورقلة وغيرها من المناطق ، وحسب ما هو ثابت فإن تاريخ وصول الاستعمار الفرنسي إلى منطقة الحجرة يعود إلى سنة 1865 (انظر التعليق رقم :1) ، وقد جاء هذا بعد أن أقرّ البرلمان الفرنسي سنة 1844 قانونا يقضي بمدّ الاحتلال الفرنسي نحو مناطق الجنوب الجزائري ، وضرورة التمهيد لذلك عن طريق إنشاء مناطق عسكرية في بعض المدن التي تعتبر مناطق عبور نحو الصحراء (عمراري ، ع.20:2016)، ثم بداية التفكير الفعلي في التقدم نحو مناطق ورقلة و تقرت سنة 1848 بهدف احتلالها بحسب تقرير أمضاه الحاكم الفرنسي في الجزائر سنة 1845 خصص لمنطقة ورقلة) عمراري، ع.2015: 21 و قادري ، ع.1998: 489) وقد كان من نتيجة هذا السيطرة على مملكة نفوسة سنة 1849 (مجموعة من المؤلفين. دت، 489) ، ونظرا للموقع الاستراتيجي لإقليم الحجرة حيث تعتبر ممرا رابطا بين عدة أقاليم مهمة كما سبق وأن ذكرنا فإنه من الطبيعي جدا أن يكون هذا الإقليم محط أنظار عسكرية فرنسية.

مظاهرات العاشر من أفريل الظروف والوقائع (ينظر التعليق رقم: 2)

من المعروف أن البلاد كلها كانت عشية مفاوضات إيفيان على صفيح ساخن يملأوه الترقب والترقب ، فالفرقان المتفاوضان في إيفيان يطرحان ملفات ثقيلة ومصيرية ، لا تناقش على نار هادئة ، وإنما تتأثر بما يجري على الأرض من لاعبين كثر ، وإن كان الطرفان قد نجحا في وقف إطلاق النار إلا أن الأمر لم يخل من ضربات تحت الحزام أو لاعبين شرسين غايتهم تعكير صفو المفاوضات وإفساد العرس كمنظمة LOAS ، التي لم ترضها النتائج المتوصل إليها ، في الوقت الذي كانت فيه فرنسا تسعى جاهدة لفرض فكرتها بفصل الصحراء الجزائرية عن شمالها وإبقائها تحت حكم المحتل.

وهو ما حتم على جبهة التحرير الوطني الرد على الأرض بمظاهرات شملت العديد من المناطق الصحراوية كان أشهرها مظاهرات 27 فبراير بعاصمة الواحات ورقلة ، وماتبعها من مظاهرات شعبية في المنقر بالطيبات يوم 13 مارس 1962 (مجموعة مؤلفين، دت ، 528)

وقد استمر الفعل الافتراضي سواء من السلطات الفرنسية الرسمية ، أو من الأجنحة الرفضية لأي اتفاق مع الحكومة المؤقتة حتى بعد سريان قرار وقف إطلاق النار ، وفي هذا السياق جاءت أحداث العاشر من أبريل في الحجيرة والتي بدأت مع عزم سلطات الاحتلال الفرنسي ممثلة في والي الواحات بايلو Baylot رفقة مجموعة من المسؤولين من بينهم العميل حمزة بوبكر رئيس المجلس العام لعمالة الواحات زيارة المنطقة. (عمرأوي ، ع . 81:2016)

وعلى ما يبدو أنّ الزيارة لم تكن بريئة لا سياسيا ولا أمنيا إذ من الغريب أن يتم الإعداد لهذه الزيارة بعد وقف إطلاق النار وأثناء انعقاد مفاوضات إيفيان، وبعد المظاهرات الرفضية لفصل الصحراء في كل من الطيبات وتقرت ورقلة .

فحينما علمت جبهة التحرير بما يخطط له المحتل الفرنسي وجهت المناضلين هناك وعلى رأسهم الشهيد رحيم أحمد بن لحبيب شيخ البلدة للاستعداد للأمر ، وإن كانت الرسالة الموقعة من طرف عثمان حامدي وهو أحد قادة جبهة التحرير في ورقلة ، حسب أحد مستلميها وقارئها المجاهد بن الشيخ محمد الصادق وهو ابن الشهيد العيد بن الشيخ رحمهما الله ، قد وصلت يوم التاسع أبريل (انظر التعليق رقم:3) ، إلا أن الأخبار قد تواترت بأن التحضير للمظاهرة والاستعداد لإفشال ما يرمي إليه العامل الفرنسي كان قبل وصول الرسالة بأيام.

وبالرجوع إلى شهادة المجاهد علي مبروكي فإنه هو من قام بخياطة الأعلام في دكانه الموجود بالبلدة القديم سبعة أيام قبل يوم المظاهرة مما يعني أن المظاهرة لم تكن عشوائية بل هي لها من قبل ، وهذا يدعم الرواية القائلة بأن السلطات الفرنسية قد علمت بأمرها وقد استعدت لأي طارئ بأن استدعت قوات من منطقة العالية وتقرت وورقلة .

كما أن عشية المظاهرة أي يوم التاسع عشرت قوات الاحتلال الفرنسي على علم معلقا في مدخل المدينة على أحد الأعمدة في منطقة (أولاد الشيخ) وهو ما نقله إلينا بعض العمال الذين كانوا داخل الثكنة العسكرية وبعض المجندين منهم مسعود قيطون والعيد بن لخضر بلمعبد

وتجدر الإشارة إلى أن السلطات الفرنسية أذاعت إشاعة قدوم شيخ زاوية تماسين مع العامل الفرنسي لغاية احتشاد الناس لاستقبال الوالي لما يناله شيخ الطريقة التجانية من حظوة ومحبة عند أهل المنطقة ، وهو أمر يؤكد رهان الفرنسيين على هذه الزيارة لحاجة في نفوسهم ، إما للتأكيد على فرنسية الصحراء والرد على مظاهرات ورقلة والطيبات وتقرت في حالة نجاح عملية الاستقبال ، أو إفساد العرس التفاوضي وخرق وقف إطلاق النار بمجزرة أعدوا لها مسبقا في حالة فشل مخططهم الأول ، وهو ما تفسره استفزازات رئيس البلدية الفرنسي الضابط فيدال روبيير الذي أرغم الأهالي على الحضور والهااتف بحياة فرنسا(عمراوي، ع. 2016:81)

وبعد وصول رسالة قيادة جبهة التحرير يوم التاسع أفريل والتي وجهت الناس إلى ضرورة عدم الاستجابة لدعوات استقبال العامل الفرنسي إذا ما طلب منهم ذلك ، والتظاهر سلميا لدعم موقف صحراوية الجزائر ورفض مشاريع فرنسا التقسيمية ، وإن كنّا لم نطلع على تلك الرسالة لضياعتها إلا أنّ من قرأها ومنهم المجاهد محمد الصادق بن الشيخ أكد ما ورد فيها .

وعلى ما يبدو أن النفوس قد تهيأت من قبل للتظاهر رفضا لتلك الزيارة وإفشالا لمراميها وهو أمر يؤكد تجمع الناس في سوق البلدة القديمة ، كما ذكر لنا ذلك المجاهد مبروكي علي والذي سبق وأن قلنا أنه هو من قام بخياطة الأعلام حيث ذكر أن حوالي أربعين برنوسا قد تركها الرجال المشاركون في المظاهرة في محله للخياطة .

وقد توارت الأخبار أنه قد بدأ تجمع الناس على الساعة التاسعة صباحا في البلدة القديمة ممن نوى التظاهر ، كما أن وسط البلدة لم يخل كذلك ممن انطلقت عليهم إشاعة مجيء شيخ الزاوية التجانية بتماسين إذ خرجوا رغبة في لقائه ، ومنهم من وجد نفسه في معمعة المظاهرة وأصيب أيضا ، وقد حرص رحيم أحمد بن الحبيب منسق المظاهرة وشيخ البلدة على أن يوجّه الناس إلى ضرورة المحافظة على سلمية التظاهر، وعدم حمل أي سلاح مهما كان ولو سكيناً .

وفي هذه الأثناء كما روى بعض العمال(انظر التعليق رقم: 4) الجزائريين في ثكنة المدينة كانت الظروف تكاد تكون عادية باستثناء بروتوكولات الاستعداد لزيارة العامل الفرنسي كسحب الذخيرة من الجندين الجزائريين (الأهالي) ، وما تناهى إلى مسمع الفرنسيين في الثكنة من حديث العثور على علم جزائري معلقا عند مدخل البلدة.

بدأ تحرك المظاهرة من البلدة القديمة (الصومعة) وصولا إلى وسط المدينة الآن وعند توجههم نحو مقر الشكنة اصطدمت بالفرقة العسكرية التي تم استقدامها من منطقة العالية ، وبعد مشاحنات كلامية قام بن الشيخ الشيخ بن محاد بن ميلود بطعن الضابط الفرنسي غارسيا (Garcia) بسكين لفظ على إثرها أنفاسه فورا .

وهنا بدأ الجنود الفرنسيون بإطلاق النار بشكل عشوائي على المتظاهرين مما أدى إلى سقوط ستة شهداء هم : (عمراوي، ع:2016:81)

- 1- بن الشيخ عبد القادر بن الطاهر وهو أول من استشهد وهو من مواليد 1911.
 - 2- بلمهدي بلخير بن بركة وهو من مواليد 1896 م.
 - 3- بالطيب صغير بن أحمد وهو أصغر الشهداء سنا من مواليد 1933.
 - 4- رحيم أحمد بن حبيب وهو من مواليد 1895 .
 - 5- بلمعدي أحمد بن لخضر
 - 6- مبروكي عبد الرحمن بن علي بن معمر وهو من مواليد 1896م
- ثلاثة من هؤلاء استشهدوا فورا وهم بالطيب صغير وبلمهدي بلخير ومبروكي عبد الرحمان أما رحيم أحمد بن حبيب و بن الشيخ عبد القادر فقد استشهدا في تقرت ، ومعدي لخضر في ورقلة متأثرين بجراحهم الخطيرة ، وقد أعادتهم سلطات الاحتلال إلى البلدة ورمت بهم في المذيلة ولم يتسن للأهالي دفنهم إلا ليلا.
- أما الجرحى فكثر تجاوزا ثلاثين جريحا وأهم من ذكروا :
- 1- بلحاج عبد القادر بن صحراوي وقد بتر ذراعه.
 - 2- رحيم الشيخ.
 - 3- قيطون محمد بن عيسى.
 - 4- بالطيب أحمد بن حوى
 - 5- بن الشيخ بشير بن الطاهر.
 - 6- بن الشيخ النفطي.
 - 7- بلمهدي عبد الرحمان بن محمد

وهو ما سجله الشاعر قيطون محمد بن عيسى في قصيدة مطلعها:

نَهَارُ حَجِيرَةٍ رَاهُو بَايْن *** خَرَجَتْ مَتُو ثَمَّنْ كُمَايْن

موتى وجرحى تتناين *

ولا بد لنا أن نذكر أنه لولا لطف الله ثم قيام أحد المجندين الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي ، وهو محمد خير الدين هباز أصيل مدينة جامعة بإخفاء مفاتيح مخزن الذخيرة (ينظر التعليق رقم: 5) بعد أن هرع إليه الجنود للتزود بعد عملية إطلاق النار الكثيفة لكانت المجزرة مروعة والحصيلة كارثية .

أما والي الواحات بايلو (Baylot) فقد عاد أدراجه إلى تقرت ولم يدخل مدينة الحجيرة أصلا بعد ما وصلته أخبار الأحداث ، بما يعني أن المظاهرات قد نجحت في إفساد عرسه وأفشلت مخططة الخبيث .

قضية البندقية (المكحلة).

لم تنته أحداث (ينظر التعليق رقم: 6) المظاهرة عند عملية إطلاق النار بل استمرت بقيام الجيش الفرنسي بمدهامات لبيوت البلدة خاصة لبيوت من استشهد أو جرح في ذلك اليوم ، وتم فرض حظر التجوال حوالي خمسة عشرة يوما خاصة على حيي بن الزين وأولاد الشيخ ، ضاق فيها السكان الويلات رعبا وحصارا ؛ إذ لم يكن بمقدورهم التحرك كل طيلة هذه الفترة إلا ليلا خلسة للتزود بالمؤونة.

كما أنه أثناء المظاهرة وعملية طعن الضابط الفرنسي غارسيا قام بالطبيب الشيخ بسلب بندقية أحد الجنود الفرنسيين وسلمها لأحمد بالطيب بن البشير حيث أخفاها في أحد الآبار ناحية سوق البلدة حاليا ، وقد جنّ جنون الفرنسيين لاختفائها وهددوا بإحراق المدينة في حالة عدم رجوعها ، وهنا يأتي دور بلخيري بلخير ابن البلدة المجند في صفوف الجيش الفرنسي والذي قدم في يوم المظاهرة من تقرت في دورية عسكرية كانت مرابطة في منطقة حاسي معمر لتأمين زيارة الوالي ، حيث بعد دخوله إلى البلدة تحمل مسؤولية إرجاع البندقية وتعهده بذلك أمام القادة الفرنسيين وبعد عمل حثيث، وجهد كبير بسبب الخوف الذي كان مسيطرا آنذاك على الأهالي (ينظر التعليق رقم: 7) استطاع الوصول إلى مكانها وإرجاعها وتجنّب أهل البلدة انتقام

الفرنسيين ، فحمى الأرواح وحافظ على الأعراض ، وهو أمر لازال يذكره السكان لهذا الرجل بخير رغم الموقف المعروف للجزائريين من المجندين الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي .

وباسترجاع البندقية رفع الحصار تدريجيا عن أهل البلدة ، بعد أن أفسلوا مخططات والي تقرت ، وصار من البين أن مفاوضات إيفيان تتجه نحو فرض الأمر الذي أرادته ثورة الفاتح من نوفمبر المجيدة. (ينظر التعليق رقم: 8)

خاتمة

كان لوقع تلك المظاهرات الصدى الكبير في المنطقة بسبب عدد الشهداء والجرحى الذين سقطوا فيها ، فقد تسامع بها الجميع حتى جنود جيش التحرير من أبناء المنطقة و الذين كانوا ينشطون في منطقة وادي سوف ، وفي الحدود التونسية الجزائرية ، كما أنها كانت آخر مسمار يدق في نعش مشروع السلطات الفرنسية في منطقة الواحات بأن أحرقت آخر ورقة كانت في يديها .

ولأسف تبقى هذه المظاهرات حبيسة الذاكرة الشعبية ولم تحظ بالترسيم الفعلي في الهيئات المختصة كونها وقعت في العاشر من أفريل 1962 أي بعد وقف العمليات القتالية بتاريخ 19 مارس من العام نفسه ، وهو ما أحدث إشكالا قانونيا في الاعتراف بالمظاهرة وبشهداءها وجرحاها ، وإن تم في وقت ما شبه اعتراف بأبناء هؤلاء الشهداء وتمت استفادتهم من منحة تقرر شكلا بعدّ ضحايا تلك المظاهرة في عداد شهداء ثورة التحرير المباركة ؛ إلا أنه جرى العدول عن الأمر في وقت لاحق بحسب ما اطلعنا عليه من وثائق ، بسبب كما قلنا التضارب القانوني في التحديد الزمني للأعمال الثورية والذي يحصر بين الفاتح من نوفمبر 1954 إلى غاية 19 مارس 1962 ، والأحداث التي نصفها وقعت خارج هذه الحقبة الزمنية . (ينظر التعليق رقم 9)

وبعيدا عن الجدل القانوني المتعلق بالشهداء وأبنائهم ، فإننا كباحثين ومهتمين بتاريخ منطقتنا نرى أنه من الأجدى إيجاد حل تاريخي يضمن إرث المنطقة معنويا فهو حق للأجيال جميعا لا لأبناء الشهداء والجرحى وحسب .

التعليقات والشروحات

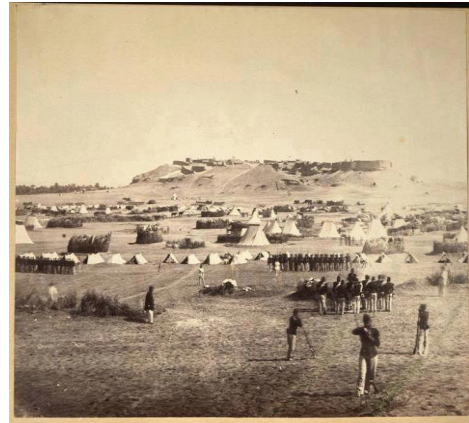
- 1- ينظر: أرشيف متحف المجاهد بتقوت.
- 2- تمتد علاقتنا بهذه الأحداث كون والدنا محمد بن عيسى قيطون رحمه الله هو أحد المصابين في هذه المظاهرات ، وقد أعدنا بحثا مختصرا نشرناه في مجلة الشهداء التي يصدرها فوج الشهيد العيد بن الشيخ آنذاك (انظر: مجلة الشهداء ، عدد أبريل 2003 ، ص9) ، كما نشطنا ندوة تاريخية ضمت أغلب من شاركوا في تلك المظاهرات وهي مسجلة عندنا صوتا وصورة ، وألقينا محاضرة حولها بتاريخ 10 أبريل 2014 في احتفالية بالمناسبة من تنظيم المجلس البلدي بالحجيرة ، وقد رأيت بعدما تجمع لدينا من شهادات ووثائق أن يأخذ الموضوع حقه في النشر في المجلات المحكمة حفاظا على ذاكرة شعبنا.
- 3- لقاء مع المجاهد بن الشيخ الصادق يوم 20/03/2003 بالحجيرة .
- 4- منهم بلمعبي العيد بن لخضر و قيطون مسعود بن أحمد.
- 5- قام برمي المفاتيح في أحد المراحيض وقضاء حاجته عليها وهو ما سمعناه منه شخصيا وأكدته الكثيرون خاصة من كان في الشكنة يوم ذاك بلمعبي العيد بن لخضر و مسعود بن أحمد قيطون .
- باين : معروف معلوم ، ثمن : ثمانية ، كمين : شاحنات ، تتناين : تثن وتثلم.
- 6- نفضل تسميتها بالأحداث لأن أمرها لم يتوقف عند مظاهرة 10 أبريل وحسب ، بل يمتد لأيام عدة تلت تلك الواقعة الرئيسية ، زادت عن الخمسة عشرة يوما.
- 7- شهادة المجد بلخيري بلخير بتاريخ 16 ماي 2003 بالحجيرة ، إضافة إلى شهادة كل من حضر الندوة التاريخية ممن عايشوا الأحداث منهم بن الشيخ الصادق وعلي مبروكي وبالطيب عبد المالك وبالطيب عبد الرزاق و بلمعبي العيد ، وهي مسجلة صوتا وصورة عندنا .
- 8- كل ما دوناه في هذه الصفائف هو نتيجة استماع لشهادات موثقة عندنا صوتا وصورة ، لأغلب من حضروا وعاشوا تلك المظاهرات ومن أصيبوا فيها ، استمعنا لهم فرادى ، ثم جماعة كي تسنى لنا مقابلة تلك الشهادات بعضها ببعض والنظر فيها والحكم عليها قبل إخراج الرواية النهائية ، وهذا أمر افتقده من حاول أن يكتب حول الموضوع إذ استمع إلى شخص أو شخصين فقط فجاءت الروايات مبتورة متضاربة تجانب الواقع .

9- شهادة عيسى مبروكي ابن الشهيد عبد الرحمان مبروكي ، وشهادة مبروك رحيم وهو ابن الشهيد أحمد رحيم يوم 10 أفريل 2003.

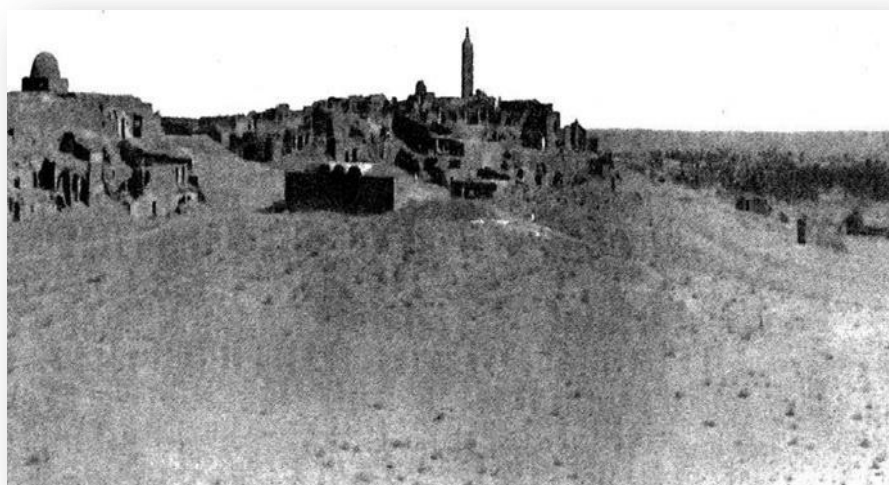
المصادر والمراجع:

- 1- عمرواي ، عبد الله .(2016) ، معالم من تاريخ تقرت ، (ط.1) ، الوادي ، مطبعة سامي .
- 2-قادري ، عبد الحميد.(1998)، التعريف بوادي ريغ ، (د ط)، تقرت ، منشورات جمعية الوفاء .
- 3- مجموعة من المؤلفين .(د ت) ، قاموس الشهيد لولاية ورقلة ،(ط.1) ، الوادي ، الآمال للطباعة .

صورة لمدينة الحجيرة (البلاد القديمة أو القصر القديم) تعود إلى سنة 1865م وفيها تظهر بدايات الوجود الفرنسي ، وفي هذا القصر أو " البلاد القديم " جرى التحضير للمظاهرة وانطلقت منه ، وعلى بعد أمتار من مكان وجود الجنود في الصورة تقبع ثكنة الجيش الفرنسي ، وآثار القصر والثكنة لا تزال ماثلة إلى يومنا هذا تخلد تلك الأحداث وغيرها



قلعة قايد الحجيرة محمد الصغير بن إسماعيل 	 قايد الحجيرة محمد الصغير بن إسماعيل 1926



* مدينة الحجيرة (البلاد القديمة) سنة 1926 وهي لاتزال على المشهد نفسه إلى حد الآن، وهو المكان الذي انطلقت منه المظاهرات.



- على يسار الصورة الشهيد أحمد بن لحبيب رحيم شيخ البلدة ومهندس المظاهرة ، وعلى يمينه ابنه المجاهد الشيخ مشارك في المظاهرة وأحد المصابين المعطوبين بسببها.

المجاهد محمد الصادق بن الشيخ منسق جبهة



المجاهد مبروكي علي